أغلال الوهم

تشريح العقل المستلب وسيكولوجية التبعية في الجغرافيا المنكوبة

عمر أحمد ناجي الشرجي

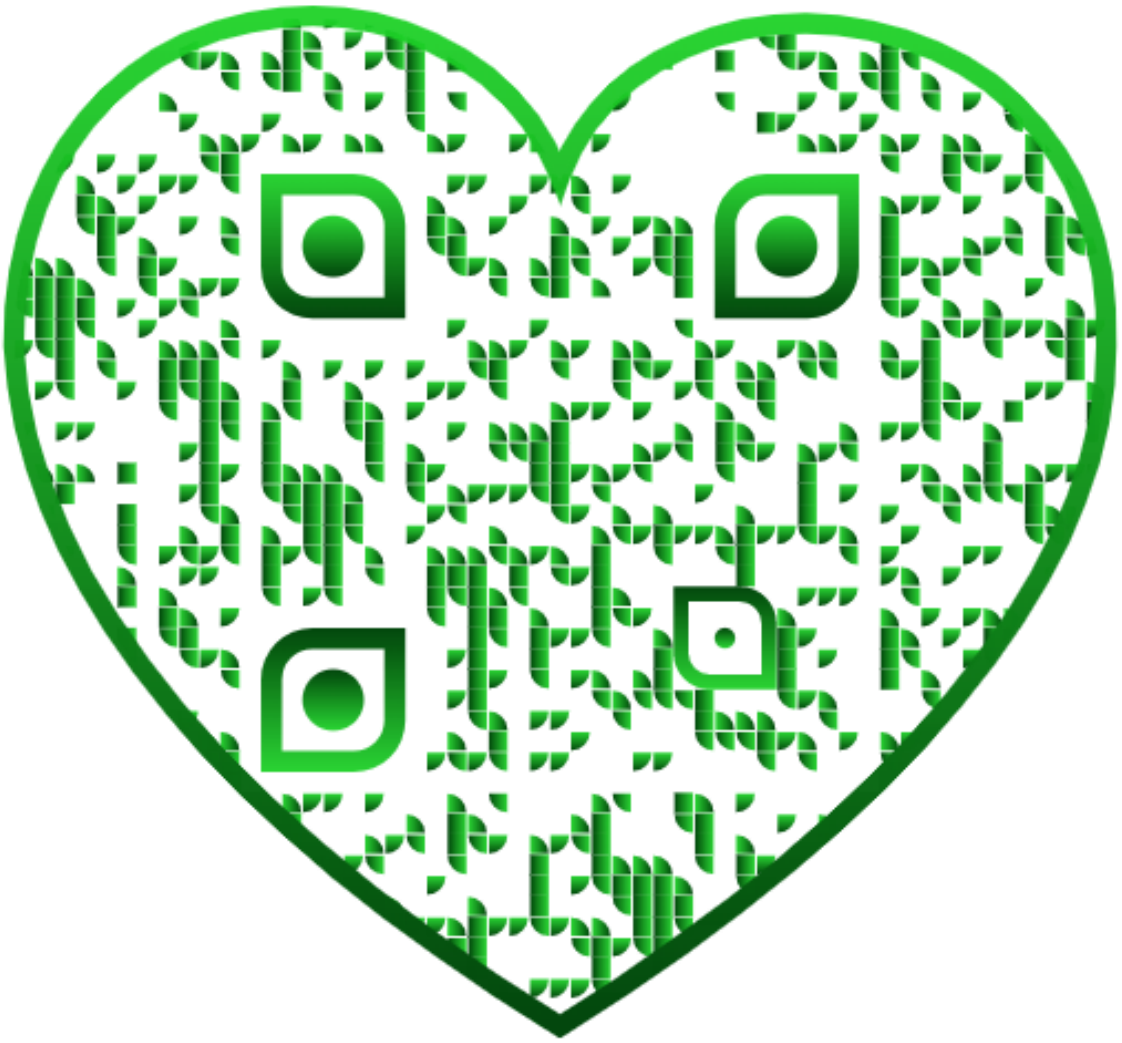

الفهرس

الإهداء: إلى القرابين الصامتة

المقدمة: تغريبة العقل في متاهات السقوط الكبير

الفصل الأول: سيكولوجية الجدال العقيم

الفصل الثاني: المحامون المتطوعون للجلاد

الفصل الثالث: أطفالنا وأطفالهم

الفصل الرابع: نساؤنا ونساؤهم

الفصل الخامس: قصورهم وبيوتنا

الفصل السادس: المظاهرات الشيطانية

الفصل السابع: تمزيق الأرحام

الفصل الثامن: كذبة "أصل العرب"

الفصل التاسع: وهم الأرض التي لم تغز

الفصل العاشر: سيف بن ذي يزن: الأب الروحي للارتزاق والتبعية

الفصل الحادي عشر: ضياع الأحرار في سوق النخاسة السياسية

الفصل الثاني عشر: خديعة الحرب العقائدية وتجارة المقدس الشيطانية

الفصل الثالث عشر: تجريف الوعي الممنهج وصناعة القطيع المطيع

الفصل الرابع عشر: اقتصاد الذل وهندسة الجوع للسيطرة الشاملة

الفصل الخامس عشر: الاستفاقة أو الفناء

الإهداء

إلى القرابين الصامتة

إلى الأمهات الصابرات المرابطات في محراب الوجع: اللواتي جفت مآقيهن من كثرة البكاء خلف نعوش فارغة، أو بانتظار عودة أبناء غُيبوا في جبهات "الوهم" بلا ثمن. إلى اللواتي يقضين نصف أعمارهن في "طوابير المهانة" أمام أبواب المنظمات، يتلفحن بعباءات الكبرياء الممزق ليحفظن ماء وجه أطفال يتامى لا يعرفون من والدهم سوى صورة معلقة على جدار بارد، ولا يجدون من يمسح دمعهم سوى ريح الفقد الموحشة التي تنخر عظامهم.

إلى "الحمقى" المخدوعين ببريق الشعارات: الذين استهلكوا حناجرهم بالهتاف لجلاديهم، وأفنوا أعمارهم في حراسة زنازينهم بصدور عارية، يظنون أنهم يبنون وطناً وهم لا يبنون إلا عروشاً للطغاة على ركام بيوتهم.

إلى الذين قطعوا أرحامهم، وهجروا أصدقاء العمر، ومزقوا النسيج الاجتماعي من أجل "أصنام بشرية" تسكن الفنادق والقصور الفارهة في عواصم الضباب، ولا تذكر أسماء هؤلاء الضحايا إلا في كشوفات "النفقات

النثرية" أو كأرقامٍ في تقارير "الخسائر البشرية" التي لا تحرك في قلوبهم الغليظة ساكناً.

إلى الجيل الذي وُلِد في قلب المحرقة: الذي لم يعرف من طفولته سوى أزيز الرصاص ووقع القذائف، ولم يذق طعم الحلوى إلا ممزوجاً بتراب المتارس. إلى الصغار الذين رُبطت على بطونهم أحجار الجوع، وحُرِموا من القلم والكراسة ليُزج بهم في أتون معارك "الوكالة" التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، سوى أنهم وقودٌ رخيصٌ في صراعات الكبار وتجار الأوطان.

إلى كل يمني حر: ما زال يمتلك ذرة من شجاعة لينظر بصدق في مرآة الواقع، ليتحسس بيده "الطوق" المعنوي الملتف حول عنقه، وليقرر -ولو في سره- أن أوان تحطيم "أغلال الوهم" قد حان، وأن الحقيقة مهما كانت مُرة هي الجسر الوحيد نحو النجاة من هذا التيه الكبير الذي نغرق فيه جميعاً.

المقدمة

تغريبة العقل في متاهات السقوط الكبير

لم يكن الدافع وراء تسويد هذه الصفحات مجرد رغبة في الكتابة أو محاولة لاستعراض البلاغة اللغوية، بل هي عملية "كيٍّ" فكري لوعيٍ جمعي تبلد حتى فقد القدرة على التمييز بين القاتل والمنقذ. نحن نعيش في مرحلة تاريخية هي الأكثر قتامة وانحطاطاً في مسيرة الإنسان اليمني؛ حيث لم يعد الوطن مجرد جغرافيا تسكننا ونسكنها، بل تحول إلى مختبرٍ شاسع ومفتوح لصناعة "الوهم" وتخدير الجماهير وتغييب العقول بأساليب منهجية ومدروسة تشرف عليها غرف عمليات لا تريد لهذا الشعب قياماً.

لقد استمرأنا المهانة والذل تحت مسميات براقة خادعة كـ "السيادة الوطنية" و"الصمود الأسطوري" و"التحدي"، بينما الحقيقة أننا أصبحنا بلا سيادة وبلا كرامة وبلا خبز. عبدنا قيادات كرتونية لا تملك من أمر نفسها نفعاً ولا ضراً، بل هي مجرد "بيادق" مأمورة و"أدوات تنفيذية" في رقعة شطرنج دولية وإقليمية كبرى تُدار من وراء البحار ببرودٍ قاتل. ومع ذلك، قدمنا لهذه القيادات الولاء المطلق، والتبعية العمياء، وبذلنا في سبيلها

أغلى ما نملك: أرواح أبنائنا واستقرار بيوتنا، دون أن نسأل: إلى أين نحن ذاهبون؟ وكيف تحول من يسرقنا إلى إلهٍ نعبده؟

هذه المقدمة هي "بيان نعي" صريح للعقل الجمعي الذي سقط صريعاً في فخ التزييف المنظم. لقد سمحنا للمرتزقة وسماسرة الأوطان وتجار الحروب أن يكتبوا لنا "تاريخاً موازياً" مليئاً بالبطولات الزائفة والانتصارات الوهمية التي لا توجد إلا في شاشات قنواتهم المأجورة، لكي يداروا بها قبح خيانتهم وفشلهم الذريع في تأمين أبسط مقومات الحياة للمواطن. تركنا لهم قيادة الدفة في لحظة غفلة تاريخية، فما كان منهم إلا أن أوصلونا إلى قاع القاع، ثم أقنعونا عبر آلاتهم الإعلامية المأجورة بأن هذا القاع المظلم هو "قمة المجد والكرامة".

نحن هنا في هذا المجلد بصدد تفكيك "أغلال" معنوية ونفسية، صُنعت بدقة متناهية من خطابات "دينية" مشبوهة تفتري على الله الكذب، ومن شعارات "وطنية" جوفاء لا تتجاوز الحناجر، ومن جلسات "قات" عقيمة تستهلك الوعي والمال والجهد وتجعل الإنسان يعيش في عالمٍ من الخيالات والبطولات الوهمية قبل أن يصحو على واقعٍ ممزق. هذا العمل هو رحلة شاقة ومؤلمة في أعماق "المسكون عنه"؛ لنبصر كيف تحولنا من "أصل العرب" وأولي البأس الشديد إلى مجرد "أدوات" للإيجار وبنادق للطلب في أسواق النخاسة السياسية، وكيف صار "العميل" الذي يبيع إحداثيات وطنه في عيوننا بطلاً مقدساً لا يُمس، و"الوطني" الحقيقي الذي يصرخ من الوجع خائناً منبوذاً. إنها دعوة صادقة لاستعادة السيادة على العقل أولاً، فمن لا يملك زمام عقله، لن يحرر شبراً من أرضه أبداً، ومن يقدس "اللص" الذي يسرق قوته سيظل عمره كله يشتكي من "السرقة" دون أن يدرك أنه هو من فتح له الباب وجعل منه إلهاً يُعبد بجهله وسذاجته.

الفصل الأول

سيكولوجية الجدال العقيم.. "حين يستقيل العقل وتنتفخ الأوداج"

تبدأ مأساة الإنسان اليمني المعاصر من تلك المساحة الجغرافية والاجتماعية الصغيرة التي نسميها "المجلس". هناك، في ساعات الظهيرة المتثاقلة، وتحت تأثير مادة "القات" التي تخدر الطموح وتنشط الأوهام الكاذبة، وتصاعد دخان "المداعة" الكثيف الذي يغلف الحقيقة بطبقات من القطران، تتحول العقول من حالة التفكير المنطكي والتحليلي إلى حالة "الاستنفار القتالي" والعدائي المفرط. نلاحظ بأسى كيف ينجر اليمنيون بمختلف مشاربهم، من الأكاديمي إلى الأمي، ومن المثقف إلى الجاهل، إلى جدالات محمومة وعقيمة، لا تهدف أبداً للوصول إلى الحقيقة أو الفهم المشترك، بل تهدف حصراً لـ "كسر الآخر" وإهانته وإثبات الولاء المطلق للرمز أو الجماعة أو الصنم السياسي الذي يقدسه.

المجلس اليمني المعاصر لم يعد مكاناً لتبادل الحكمة أو مناقشة شؤون القبيلة والوطن برزانة كما كان يدعي الأجداد في أساطيرهم، بل صار "مفرخة للأوهام" ومصنعاً ضخماً لإعادة تدوير الأكاذيب السياسية التي تُبث

في القنوات. هناك يُلمع القائد العميل الذي لا يجرؤ على الخروج من فندقه، وتُبرر الخيانة العظمى بأنها "حنكة سياسية" و"ضرورة مرحلية"، ويُصور الفشل الاقتصادي الذريع والانهيار المعيشي على أنه "صبر استراتيجي" و"تضحية من أجل المبادئ". وما يثير العجب والذهول هو ذلك الذكاء المفرط والجهد الذهني الجبار الذي يبديه هؤلاء "الحمقى" في ابتكار مبررات وأعذار لجلاديهم، أعذار لا تخطر حتى على بال الجلاد نفسه حين يضع رأسه على وسادته الفارهة في قصره المنهوب من دمائنا!

في هذه الجدالات، تسقط كل أقنعة الاحترام المتبادل والود والمروءة التي نتغنى بها، فبمجرد أن يطرح أحد الجالسين رأياً مخالفاً، أو يحاول تسليط الضوء على خطأ كارثي ارتكبه "الصنم" الذي يعبده الطرف الآخر، تنقلب الدنيا. فجأة، تندفع الألفاظ النابية والجارحة والتخوينية كالحمم البركانية، وتتعالى الأصوات حتى تخرج عن طور الآدمية لتشبه نباح الكلاب أو زئير الوحوش، وتنتفخ الأوداج وتجحظ العيون، وتتحول لغة الحوار من "أخي وأستاذي" إلى "خائن، عميل، مرتزق، ذنَب".

هذا الانحدار اللغوي والأخلاقي ليس مجرد قلة أدب عابرة أو ثورة غضب مؤقتة، بل هو دليل سوسيولوجي ونفسي قاطع على أن "الأيديولوجيا المصطنعة" قد استبدلت "الإنسان" داخلنا، وأننا فقدنا هويتنا الشخصية لنصبح مجرد صدىً لأصوات أسيادنا المأجورين. نحن نشتم الصديق الذي قاسمناه الملح والزاد لعقود، ونقاطع الأخ الذي ولدته أمنا وعشنا معه مرارة الحياة، لأننا نرى في كلمته الصادقة تهديداً لـ "الصورة الذهنية المقدسة" التي رسمناها لزعيمنا المرتزق. لقد أصبحنا ملكيين أكثر من الملك، وندافع عن كرامة "الزعيم" التي باعها هو بملء إرادته في عواصم الخارج مقابل حفنة من الدولارات، بينما نهدر نحن كرامتنا

الشخصية وعلاقاتنا الإنسانية في جدال تافه لا يقدم ولا يؤخر في موازين القوى شيئاً.

والأمر الأكثر رعباً، والذي يتطلب تشريحاً نفسياً عميقاً لمدى الانحدار الذي وصلنا إليه، هو حين يتجاوز الجدال حدود الكلمات الجارحة ليصل إلى مرحلة الاعتداء الجسدي أو حتى القتل العمد. كم من مجالس "تخزين" انتهت بعراك دامي بـ "الجنابي" أو الرصاص، وكم من صداقات دامت لعمرٍ كامل تحطمت في لحظة غضب طائش من أجل "شخص تافه" يسكن في قصر محصن بعاصمة أوروبية أو عربية، ولا يعرف حتى بوجود هؤلاء المتقاتلين من أجله! بل ربما يضحك من سذاجتهم وتفاهتهم وهو يرتشف نخب عمالته في غرفه المكيفة. إننا نؤذي بعضنا البعض، ونمزق نسيجنا الاجتماعي لأسباب لو عرضناها على طفل عاقل في أي بقعة من العالم لضحك من حماقتنا حتى الاستلقاء. نحن في الحقيقة مجرد "بيادق" رخيصة في صراعات كبرى لا نفهم أبعادها الجيوسياسية، ولكننا نصر بإرادة انتحارية غريبة على أن نكون "وقوداً مجانياً" لهذه المحرقة التي تلتهم حاضرنا ومستقبلنا. إن تحول الجدال إلى عنف هو الشهادة النهائية على "الإفلاس الفكري"؛ فعندما تعجز الحجة ويغيب المنطق وتنكشف الحقيقة المرة، يبرز الخنجر والطلقة كبديل وحيد بائس للتعبير عن الولاء الأعمى لـ "اللصوص" الذين سلبوا منا الأرض والتاريخ والإنسان.

الفصل الثاني

المحامون المتطوعون للجلاد.. "متلازمة ستوكهولم في أبشع صورها"

إنَّ أشدَّ الفصولِ إثارةً للدهشةِ والشفقةِ في هذا المسار المنحدر هي تلكَ الظاهرةُ السيكولوجيةُ الفريدة؛ حيثُ ينصبُّ المواطنُ المظلوم، المسلوبُ الراتبِ والكرامة، نفسَهُ "محامياً شرساً" يدافعُ عن الجلادِ الذي يجلدُ ظهرَهُ كلَّ يوم ويصادر لقمة عيش أطفاله. إنها حالةٌ متقدمةٌ من "متلازمة ستوكهولم"؛ حيثُ يتماهى الضحيةُ معَ الجلادِ لدرجةِ أنهُ يرى في سوطِهِ عدلاً، وفي سجنِهِ حمايةً، وفي جوعِهِ صموداً أسطورياً.

تراه يبتكر المبررات الاقتصادية والسياسية المعقدة لسارقه، ويهاجم بكل غل كل من يحاول إيقاظه من هذا الكابوس الذي يراه "حُلماً وطنياً". تجد الموظف الذي لم يذق طعم الراتب منذ شهور يبرر لـ "المسؤول" بناء فيلا جديدة أو شراء سيارة فارهة بأنها "ضرورات أمنية" أو "هيبة دولة"، بينما أولاده في البيت لا يجدون قيمة الدفتر المدرسي أو حبة الدواء. هذا الاستلاب الروحي هو أخطر أنواع العبودية على الإطلاق؛ لأن العبد في هذه الحالة هو من يصنع قيده بيديه، ويلمعه بلسانه، ويفتخر بصوته الرنان،

ويتحول إلى حارس شخصي لجلاده دون أجر، بل ويبذل دمه ليحمي من يسرق مستقبله. إنهم محامون متطوعون في محكمة الظلم، يدينون أنفسهم لكي يبرئوا الجاني، ويموتون جوعاً لكي يحيا "الصنم" في ترفٍ فاحش. كيف يمكن لعقل بشري أن يبرر حرمانه من أبسط حقوقه لصالح شخص لا يراه إلا كرقم في كشف المصاريف؟ إنها الفجيعة الكبرى التي تجعلنا نتساءل: هل نحن شعب يبحث عن الحرية، أم نحن قطيع يبحث عن سياط أكثر لمعاناً؟

الفصل الثالث

أطفالنا وأطفالهم.. "بين محرقة الجبهات وجنان الخارج"

تأملوا هذا التباين الصارخ الذي يمزق القلب: أطفالنا اليومَ هم "عمالُ المنازل" و"ماسحو زجاجِ السيارات" و"جامعو البلاستيك والقمامة" في شوارع المدن المزدحمة بالوجع والمهانة. طموحُ الطفلِ اليمني اليومَ لم يعد أن يكون "طياراً" يخرق السحاب أو "مهندساً" يشيد البنيان، بل صارَ أقصى أمانيه الحصولُ على "علبةِ تونة" أو "كيس دقيق" مهترئ من كرتونِ الإغاثة الدولي الذي تمنُّ به المنظمات علينا كأننا حثالة الأرض.

بينما أطفالهم -أطفال القادة والزعماء والمرتزقة- يرتدون أفخم الماركاتِ العالميةَ، ويتلقون تعليمهم في أرقى المدارسِ الدولية في عواصم الضباب والرمال، ويقضون عطلاتهم الصيفية في منتجعات أوروبا وتركيا. نحنُ لسنا سوى وقودٍ لحروبهم التي يوقدونها بفلذات أكبادنا في متارس الموت تحت شعارات "الجهاد" و"الوطن"، وهم حُصادُ ثمارها المرة التي يودعونها في حساباتهم البنكية السرية. الفرق بين "أطفالنا" و"أطفالهم" هو الفرق بين من يموت ليحيا الوطن في خيال السذج، ومن يقتل الوطن ليحيا أبناؤه في ترفٍ وسفاهةٍ مطلقة فوق أشلاء الصغار

المنسيين في مقابرنا الجماعية. كل طفل يمني يُحرم من مدرسته اليوم ليحمل السلاح هو مسمار في نعش مستقبلنا، بينما أولئك الذين يرسلونهم إلى الموت يحرصون على أن يتعلم أبناؤهم كيف يحكموننا غداً بمال النهب والارتزاق.

الفصل الرابع

نساؤنا ونساؤهم.. "كرامةٌ تُباع بقطمة سكر"

انظروا إلى نساؤنا؛ ترونهنَّ يداومن في صفوفٍ طويلةٍ ومهينة، تحت لهيب الشمس الحارق وبرد الشتاء القارس، من أجلِ "دبةِ غاز" أو "قطمة سكر" أو "جالون زيت" يبتزهن فيها المشرف الصغير الذي لم يكن يملك ثمن رغيفه قبل أن يبدأ "موسم النهب". كرامةُ نسائنا تُهدرُ يومياً في طوابيرِ المساعدات المذلة، وتتوارى خلف أبواب البيوت التي ينهشها الجوع بصمتٍ مخيف وصبر أيوبي لا يطاق.

بينما زوجاتِ وبناتِ وشقيقاتِ هؤلاءِ المرتزقة يرفلن في نعيم الارتزاق الفاحش؛ فساتينهن في حفلة زفاف واحدة في دبي أو القاهرة أو إسطنبول تساوي قيمة رواتب مئات الأسر اليمنية لعام كامل. هن يتبضعن من أفخم المولات والمحلات العالمية، ونساؤنا يبعن ما تبقى من "ذهب الزواج" الذكريات الجميلة ليشترين الدواء لطفل ينهشه الهزال أو دقيقاً يسد الرمق ليوم واحد. رفاهيةُ نسائهم تُبنى بوقاحة فجة على أنقاضِ بيوتنا المهدومة وصبر نسائنا المكلومات اللواتي لا بواكي لهن في عواصم الارتزاق، حيث تتحول دموع الأرامل في الداخل إلى مجوهرات تتلألأ في أعناق نسائهم

هناك، بينما نحن نهتف بأسماء أزواجهم القتلة. المرأة اليمنية التي كانت رمزاً للعزة والأنفة، صارت اليوم ضحية هندسة الجوع التي يمارسها تجار الأوطان.

الفصل الخامس

قصورهم وبيوتنا.. "الرخام المغموس بالدم"

تأملوا تلكَ القصورَ المنيفةَ والفلل التي نبتت كالفطر الشيطاني في أحياء كانت يوماً هادئة، ويملكها هؤلاءِ "اللصوصُ" الجدد في الداخلِ والخارجِ من أموال الجبايات والنهب الممنهج لثروات البلاد المسكينة. والمفارقةُ المضحكةُ المبكيةُ هي أننا نحنُ المظلومين، المسلوبي الإرادة، من نحرسُ تلكَ القصور بصدورنا العارية كجنود ومرافقين بمرتباتٍ تافهة لا تغطي قيمة الحذاء الذي يرتديه أصغر أبنائهم. نحن نضمن لهم النوم الهادئ بينما لا نأمن نحن على أنفسنا من غدر الجوع أو قذيفة طاشة قد تأتي من الطرف الآخر الذي يحرسه "أحمقٌ" آخر مثلنا.

هم يسكنون الرخام المستورد والنجف الكريستالي، ونحن نسكن الخيام المهترئة في مخيمات النزوح التي يغسلها المطر وتذروها الرياح، أو البيوت المتهالكة التي يطاردنا فيها شبح الإيجار ومالك العقار الذي لا يرحم. بيوتنا مهددة بالسقوط فوق رؤوسنا في أي لحظة، وقصورهم محصنة بأسوار عالية وأجهزة إنذار وحراسات بنيت بآهات الثكالى وجوع اليتامى الذين لا يجدون ثمن رغيف الخبز. هم يتقلبون على أرائك النهب، ونحن

نتقلب على جمر الفقر، ونحمد الله على "الأمن والأمان" الزائف الذي يوفره لنا اللصوص! كيف استطعنا أن نقبل بأن تُبنى تلك القصور بدمائنا ثم نقف على أبوابها كحراس مأجورين؟

الفصل السادس

المظاهرات الشيطانية.. "بيع الذمم في سوق الساحات"

يتمُّ استغلالُ فقرِ الناسِ المدقع وحاجتهم للمواصلات أو وجبة غداء بسيطة (علبة تونة ورغيف خبز) لحشدهم في الساحات والميادين لكي يظهرَ "المرتزق" بمظهرِ الزعيمِ المفوضِ شعبياً والمدعوم جماهيرياً أمام كاميرات القنوات العالمية الصماء التي لا تنقل إلا الصورة التي يريدها الممول. نحنُ "الحمقى" الذين نخرجُ لنهتفَ بأعلى صوتنا، بصدور مخنوقة بالعبرات وبطونٍ خاوية، لمن يسرقُ مستقبلَ أبنائنا ويقايض بدمائنا في أسواق النخاسة الدولية.

نمنحهم الشرعية والغطاء الشعبي بأجسادنا النحيلة ووجوهنا الشاحبة التي لوحتها شمس القهر، ونعودُ لبيوتنا بـ "صورة" الزعيم أو "شعار" الحزب التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بينما يعودون هم لغرف العمليات المغلقة بـ "صفقات" الملايين والودائع المليارية من مموليهم الإقليميين. إنها مسرحية شيطانية نحن فيها الجمهور الذي يصفق، والممثلون الذين يموتون على المسرح، والضحايا الذين لا يُذكرون، والجلاد هو المخرج الوحيد الذي

يقبض ثمن التذاكر بدمائنا. المظاهرة التي لا تعيد راتباً أو تحفظ كرامة هي مجرد حفل زار لتمجيد السجان.

الفصل السابع

تمزيق الأرحام.. "حين يقتل الصنم صلة الدم"

هذا هو الفصل الأكثر إيلاماً؛ حيث الأخ يهجر أخاه لسنوات، والابن يعق والده ويخونه، والصهر يشهر السلاح في وجه صهره لمجرد أن أحدهم انتقد "الصنم" السياسي أو "الرمز" الديني أو "الزعيم" الكرتوني للطرف الآخر. نجح هؤلاء المرتزقة في زراعة الشقاق والحقد الأسود داخل البيت الواحد لكي ننشغل ببعضنا وننهش لحومنا بأسناننا، ونتركهم يكملون نهب ما تبقى من جثة الوطن بسلام وثقة وتلذذ.

لقد تحولت البيوت اليمنية من واحات سكينة ومودة وتراحم إلى جبهات صراع مصغرة يسودها التخوين والعداء المطلق. الرابح الوحيد من هذا التمزق الاجتماعي هو المحرك الخارجي الذي يبتسم بخبث وهو يرى النسيج اليمني يتهرأ بيد أبنائه "الأغبياء"، بينما المرتزقة يتقاسمون كعكة السلطة والمال والامتيازات فوق أنقاض علاقاتنا الإنسانية الممزقة. لقد قطعنا الأرحام من أجل من لا يرحم، وخسرنا الأهل من أجل من يرى فينا مجرد "أرقام" في كشوفات الضحايا. كيف هانت علينا صلة الدم أمام شعارات كاذبة يلقيها لص من وراء البحار؟

الفصل الثامن

كذبة "أصل العرب".. "المخدر التاريخي للفشل الحاضر"

نردد بفخر أجوف وبعيون مغمضة عن الواقع المرير الذي يصفعنا كل يوم: "نحن أصل العرب"، و"نحن مهد الحضارة"، و"نحن من علمنا العالم"، بينما واقعنا اليوم مخزٍ ومأساوي وانحداري ولا يمت للعروبة ولا للإنسانية بصلة. الهروبُ إلى التاريخِ المزيفِ والبحث عن أمجاد غابرة (مملكة سبأ وحمير) قبل آلاف السنين هو المخدرُ السام الذي نستخدمهُ لكي لا ننظرَ بصدق في المرآةِ ونرى كم نحنُ "تُبع" وأذلاء ومستلبون في حاضرنا المظلم.

لقد تحولنا إلى عالة على العالم أجمع، نتسول المساعدات من كل يد، ونستجدي الحلول لمشاكلنا التافهة من الآخرين، بينما نملأ الدنيا صراخاً وضجيجاً بأمجاد أجدادنا الذين لو بعثوا اليوم لتبرأوا من أفعالنا وانبطاحنا. الحقيقة المرة أن "الأصل" الحقيقي يظهر في الأخلاق والكرامة والسيادة الوطنية والإنتاج، لا في التغني بعظام نخرة وتاريخٍ غارق في القدم بينما نعيش نحن في قاع التبعية والمهانة في عواصم العالم التي ترفض حتى منحنا تأشيرة دخول كبشر، ونحن نتوهم أننا ملوك الأرض! التغني بالماضي

هو حجة العاجز الذي لا يملك حاضراً، ونحن اليمنيون صرنا أساتذة في هذا الهروب النفسي الكبير.

الفصل التاسع

وهم الأرض التي لم تغز.. "مقبرة الغزاة أم بوابة الخونة؟"

خرافة "مقبرة الغزاة" هي مجرد أوهام صاغتها عقولنا العاجزة لتبرير الفشل المتكرر، والفقر المستمر، والجهل المطبق الذي نعيشه. الحقيقة المرة التي لا نريد سماعها أن بلادنا كانت عبر التاريخ بؤرة للغزو والاحتلال من كل حدب وصوب؛ من الأحباش إلى الفرس إلى الأتراك والإنجليز، ولم نكن يوماً استثناءً من أطماع القوى العالمية أو الإقليمية.

وفي كل مرة -بدون استثناء- كان هناك خائن يمني "مرتزق" ومستلب يفتح الباب على مصراعيه للمحتل والغازي طمعاً في جاه أو سلطة زائلة أو نكاية بخصمه الداخلي، تماماً كما يفعل مرتزقة اليوم الذين يستدعون الخارج لقتل الداخل وتدمير ما تبقى من أثر. الأرض لا تحمي نفسها بالخرافات والأساطير والقصائد الحماسية، بل بالوعي والوحدة والكرامة والسيادة الحقيقية التي افتقدناها تماماً في خضم صراعاتنا التافهة على فتات الموائد الخارجية، حيث أصبح الغازي اليوم يُستقبل بالورود من قبل من يدعون أنهم حماة "مقبرة الغزاة" الوهمية. من يفتح بابه للغريب ليدمر بيت أخيه لا يمكنه الحديث عن المقبرة إلا إذا كان هو من يُدفن فيها.

الفصل العاشر

سيف بن ذي يزن: الأب الروحي للارتزاق والتبعية

ابن ذي يزن هو الجد الأعلى لكل مرتزق يطأ أرضنا اليوم؛ هو الذي سنَّ في الوعي اليمني أسوأ سنة سياسية هي "الاستقواء بالخارج لتصفية حسابات الداخل". لقد ذهب يجر أذيال الخيبة إلى كسرى فارس، يطلب منه "أدوات قتل" ليواجه بها الأحباش، فاستبدل وصايةً ناعمة باحتلالٍ فارسيٍّ غاشم حوّل اليمن لقرون إلى مجرد ولاية تابعة لعرش طيسفون، ومجرد مخزنٍ للعبيد والجند.

نحن نقدس من استجلب الغازي ونسميه بطلاً قومياً في مناهجنا المشوهة، ونحن هنا نزرع بذور العبودية في عقول أطفالنا حين نعلمهم أن "التحرير" يأتي على ظهور خيول الأجانب. سيف بن ذي يزن لم يحرر وطنًا، بل "أجّره" لعدوٍ جديد مقابل انتقامٍ شخصي تافه، واليوم نرى أحفاده المرتزقة في الفنادق والقصور يكررون نفس المأساة بحذافيرها، يستجدون الطائرات والدبابات من كل عاصمة ليدمروا بيوت إخوتهم، ظناً منهم أن الغازي سيمنحهم كرسياً للحكم، بينما الغازي لا يمنح إلا القيد والتبعية والذل. إن الارتزاق في جيناتنا السياسية هو ميراثٌ "يزنيّ" بامتياز، ما لم

نحطمه في وعينا سنظل ندور في فلك التبعية للأبد، نستبدل سيداً بسيد وقيداً بقيد. التحرير الحقيقي هو الذي تصنعه سواعد الأحرار في الداخل، لا بوارج الغزاة.

الفصل الحادي عشر

ضياع الأحرار في سوق النخاسة السياسية

لقد أصبح "الرجل الوطني" الحقيقي في هذا الزمن الرديء عملةً نادرة، بل ومطاردة ومنبوذة. الوطنية اليوم لم تعد موقفاً أو مبدأ أو حباً للتراب، بل هي "سلعة" رخيصة تُعرض في مزادات السفارات وغرف العمليات المشتركة. لا يوجد اليوم قائدٌ واحد على الساحة يملك شجاعة قول "لا" لممموله الإقليمي، لأن الممول يمسك برقبته من خلال حساباته البنكية في سويسرا وعقاراته في دبي وتركيا والقاهرة، ويهدده بالملفات القذرة.

لقد ضاع الأحرار الحقيقيون وسط ضجيج المرتزقة؛ فمنهم من قتله القهر في منزله بصمت، ومنهم من غُيب في غياهب السجون لأنه رفض أن يكون "بيدقاً" في رقعة الشطرنج. أما الذين نراهم على الشاشات يتحدثون عن "السيادة" بياقات بيضاء، فهم أكثر الناس انتهاكاً لها، يبيعون إحداثيات بيوتنا ومواقع جيشنا مقابل "فتات" من الدولارات والريالات، ثم يخرجون ليلقوا علينا مواعظ في الشرف والكرامة. الوطنية الحقيقية لا تسكن الفنادق الفارهة بمال العمالة، والقرار الذي لا ينبع من تراب اليمن هو قرارٌ

باطل وخائن، وما بُني على ارتزاق فهو إلى زوالٍ محتوم مهما طال الزمن. الأحرار يموتون جوعاً، والعبيد يتصدرون المشهد.

الفصل الثاني عشر

خديعة الحرب العقائدية وتجارة المقدس الشيطانية

لقد أتقن المرتزقة لعبة "تديين" الصراع وتغليفه بالمذهب والطائفة؛ لكي يضمنوا تدفق القطيع من الفقراء والمساكين نحو المحارق المشتعلة بلا أسئلة وبلا تفكير. يوهمون الشاب الفقير الجائع أن موته هو مفتاح الجنة الوحيد، وأن خصمه (الذي هو أخوه في الدين والوطن) هو "عدو الله" و"كافر" أو "منافق"، بينما الحقيقة المرة هي أن الطرفين (القادة من هنا وهناك) يتقاتلان من أجل "عقود نفط" أو "منافذ حدودية" أو "نفوذ إقليمي" أو مجرد إرضاء الممول الخارجي.

تجار الحروب يتاجرون بآيات الله وأحاديث رسوله ليحققوا مكاسب شيطانية مادية بحتة. يلبسون البزات العسكرية فوق العمائم، ويوزعون صكوك الغفران والشهادة على الضحايا السذج، بينما هم يودعون أرباح الحرب وعمولاتها في بنوك "الكفار" الذين يدعون قتالهم ليل نهار. الحرب في اليمن ليست بين مؤمن وكافر، بل هي بين "لص" و"لص" آخر، والضحية دائماً هو ذلك المسكين الذي صدق الخطبة الرنانة وأن الرصاصة التي تقتله هي رصاصة "مقدسة". إنهم يبيعوننا "الوهم الأخروي" لكي يسلبونا "الحاضر

الدنيوي"، ويبنون قصورهم بجماجم المخدوعين بشعاراتهم، ويشترون فساتين نسائهم بدم شبابنا. الدين في أيديهم هو مجرد سوط لجلد الفقراء ومخدر لسوقهم إلى الموت.

الفصل الثالث عشر

تجريف الوعي الممنهج وصناعة القطيع المطيع

الجاهل هو "الجندي المثالي" للمرتزق؛ فالعقل الذي يفكر ويحلل ويطرح الأسئلة هو خطرٌ داهم ووجودي على تجارة الحروب. لذلك نرى هذا التدمير الممنهج والمقصود للتعليم؛ المعلم جائع ويشحذ في الشوارع، والمدرسة تحولت لركام أو سكن للنازحين أو متارس للمقاتلين، والمنهج التعليمي تحول إلى "ملازم" وتعبئة طائفية وحزبية مقيتة تفرغ العقل من محتواه. يريدون جيلاً لا يقرأ إلا ما يكتبون، ولا يسمع إلا ما يهتفون به في الإذاعات.

لقد جرفوا الوعي حتى أصبح المواطن يدافع عن سارقه بشراسة، ويحيي قاتله بابتسامة الذل. حولوا "المثقف" إلى "طبال" مأجور بباب المشرف أو الوزير المرتزق، وصار "العالِم" يفتي بما يرضي الممول الخارجي. هذا التجريف ليس عفوياً، بل هو هندسة اجتماعية خبيثة تهدف لتحويل الإنسان اليمني من "كائن مفكر" حر إلى "أداة تنفيذية" صماء لا تملك من أمرها إلا السمع والطاعة العمياء، لكي يسهل سوقها إلى الجبهات كالأغنام في موسم الأعياد، دون أن تسأل: لماذا أُقتل؟ ومن أجل

مَن؟ عندما يستقيل العقل، تصبح الشعارات هي الحقيقة الوحيدة، ويصبح القاتل هو المخلص.

الفصل الرابع عشر

اقتصاد الذل وهندسة الجوع للسيطرة الشاملة

الجوع في اليمن ليس قدراً إلهياً أو نتيجة نقص الموارد، بل هو "سلاح سياسي" فتاك يُستخدم بوعي. لقد هندس المرتزقة الفقر بعناية فائقة لكي يظل المواطن في حالة "ركض مستمر" ويلهث خلف لقمة عيشه من الصباح حتى المساء، فلا يجد وقتاً ولا طاقة للتفكير في حرية، أو كرامة، أو حقوق سياسية، أو تغيير. عندما يُقطع الراتب، وتُرفع الأسعار بجنون، وتُفرض الجبايات والضرائب القاتلة على كل شيء، يصبح "رغيف الخبز" هو سقف طموح الإنسان اليمني، وتصبح كرامته هي الثمن الذي يدفعه للحصول عليه.

إنهم يسرقون ثرواتنا النفطية والغازية جهاراً نهاراً، وينهبون المساعدات الإغاثية الدولية ويبيعونها في الأسواق السوداء، ويحتكرون المشتقات النفطية، ثم يمنون على الشعب بـ "سلال غذائية" مهينة ومصورة أمام الكاميرات لكي يظهروا بمظهر المحسنين والآباء الحنونيين. هذا هو "اقتصاد الذل"؛ أن تسرق رغيف المواطن الكامل ثم تعطيه كسرة يابسة منه مقابل ولائه المطلق وصمته وتصفيقه. المرتزقة يزدادون سمنةً وترهلاً في كل يوم

تموت فيه طفلة من سوء التغذية، وقصورهم التي تتطاول في عواصم الخارج هي في الحقيقة "رواتبنا المنهوبة" وجوع أطفالنا المصدر للخارج، وهم يضحكون علينا ونحن نشكرهم على "الفتات". الاقتصاد الذي يبنى على نهب المواطن هو جريمة ضد الإنسانية ترتكب باسم السيادة.

الفصل الخامس عشر

الاستفاقة أو الفناء.. الخيار الأخير والوحيد

وصلنا اليوم إلى مفترق الطرق الوجودي الذي لا يقبل القسمة على اثنين: إما أن نملك الشجاعة والوعي لتحطيم هذه "الأغلال" المعنوية والنفسية ونستعيد عقولنا ونبصر هذا الزيف العاري والمخزي، أو أن ننتظر فناءنا الجماعي بصمتٍ مطبق كما تفنى الحشرات. لا تنتظروا حلاً يأتي من الطاولات المستديرة في جنيف أو مسقط أو الرياض أو لندن، فالمجتمع الدولي منافق ولا يتعامل إلا مع "الأقوياء" والواثقين بأنفسهم، لا مع "أدوات" رخيصة ومستهلكة ومرتزقة يبيعون بلادهم مقابل عمولة.

الاستفاقة الحقيقية تبدأ حين تتوقف عن التصفيق لجلادك، وحين ترفض أن تقطع رحمك أو تعادي أخاك من أجل زعيمٍ تافه لا يعرف حتى اسمك ولا يبالي بجوعك. إن "أغلال الوهم" التي قيدونا بها ليست قيوداً حديدية، بل هي خيوطٌ واهية من عنكبوت الشعارات والأكاذيب، يمكن تحطيمها بصرخة وعيٍ واحدة وبكلمة "لا" مدوية وصادقة. كن حراً في عقلك وضميرك أولاً، أو مت وأنت تحاول؛ فالموت بكرامة وأنت تطالب بحقك أهون ألف مرة من العيش كـ "رقم" و"عبد" في كشوفات تبعية المرتزقة الذين يتاجرون بدمك

وقوتك. إنها دعوتي الأخيرة قبل السقوط العظيم في هاوية التاريخ: استيقظوا أيها اليمنيون، فإن التاريخ لا يرحم النائمين والسذج، والأرض التي تُباع اليوم في الفنادق لن تعود لنا غداً بالبكاء والعويل والشكوى. الخيار لكم: إما الكرامة وإما المذلة الأبدية تحت أقدام المرتزقة. الصرخة الحقيقية هي صرخة المظلوم في وجه ظالمه، لا الصرخة التي لقنوها لنا لنقتل بها بعضنا البعض.